في بؤس " الوعي النقدي " التبسيطي الاختزالي سماح إدريس مثالاً

غالبية المثقفين العرب القوميين تبسيطيون ، تحريضيون ، وتقاس الثقافة في أحكامهم وفقاً للمقايضة والمبايعة. الضجر والغضب ، هما الفعلان الأوضح والأكثر حضوراً للوعي بالأشياء ومبايعة التبسيطية لديهم. فكما انبنت الدولة القومية الألمانية على تبسيط العنصرية وجعلها منطلقاً غلبوياً في صناعة المجتمع الكاره لغيره ، تقارع النخب العربية الثقافية أية مظاهر تقرّب المشتركات بين المختلفين. ثمة وقائع في الكتابة اليومية وإعلان المواقف ، وسجالات عقيمة وركيكة لغة وخطاباً وسياقاً ، تُمرجع ذاتها بأخطار متمثلة غالباً بعدوانية الأقليات والصهيونية والإمبريالية. وهي في حدودها المسترشدة بالدوائر الكالحة التي طالما أصبحت فعلاً للإستبراز ، أخطار تراكمية ، "أو" ، كمونية وتناظرية الأبعاد تقاسم العدوان على الأمة العربية.

خالد سليمان- بدرخان علي

إن أي إرباك للوعي الاستبدادي العربي والأنظمة القومية التي تأسست بمقتضاه في العالم العربي يقودنا إلى دور حيوي للأقليات أو الأغلبيات الممنوعة من الصرف السياسي والهوياتي، وإلى الانفتاح على الخارج بطبيعة الحال. فأي دور للأقليات في العالم العربي والإسلامي، مؤشر لزعزعة مركزية الدولة أو تفتيت الدولة ومؤسساتها وهيبتها وفقاً للمصطلح السائدة في الثقافة السياسية .

من هنا يأتي دور الأغلبيات الممنوعة من الصرف السياسي والهوياتي في العراق (الشيعة والكُرد نموذجاً)، مربكاً ليس للكيان السياسي العراقي الجديد فحسب، بل للثقافة السياسية العربية ونخبها ورموزها. ولا تخفي الأوساط الثقافية العربية مساندتها للديكتاتوريات القومية والعائلية كرادع "وطني" ضد محاولات تفكيك المركزية أو " اللامركزة " إن صح التعبير. وما كتبه سماح إدريس و تركي علي الربيعو ومحمد سيد رصاص ومنذر الموصلي وعبد الباري عطوان وفيصل القاسم ومصطفى بكري وآخرون ، هو في الجوهر ضد القوى السياسية "الجديدة" (والكورد تخصيصاً)، ودورها في احتلال موقع لائق في الخارطة العراقية وإعادة رسم السياسة فيها، بعد تهميش طال عقوداً من الزمن، قبل أن يكون ضد "الإمبريالية والصهيونية" .

تالياً، كان صدام حسين مستبداً وطنياً ولو على خارطة جميع مقابره الجماعية وسياسة التنكيل التي طالما أصبحت ركيزة قوته في صناعة عراق أراده كمزرعة بلا أغصان وألوان. أما مبدأ حقوق الإنسان وقتل النساء بالفأس أمام حشود البعث المغلقة لتنظيف بغداد من " الدعارة " وتزويج الكرديات والشيعيات لضباط الأمن والمخابرات قسراً، فكان وسيلة للحفاظ على "وحدة العراق".

الحديث هنا ، عن كلام سماح إدريس حصراً إذ كلف "خاطره " وكتب عن حقوق الإنسان وجرائم الشرف في كردستان بعدما أصبح تقرير "سيمور هيرش " مرجعه للحديث عن العلاقة بين الكُرد والإسرائيليين . وحول هذه النقطة الثانية، إذ تبدو فيها فكرة صهينة الكُرد أقوى من إنسانية الكاتب المتمثلة بحقوق الإنسان، افتراضا وادعاء، يُلاحظ بأن هناك فكراً تحريضياً يدفع الكاتب لجلب الآخر نحو تخوم صراع للرمز فيه دور أكبر من الواقع العربي. فالصراع العربي –الإسرائيلي بمعناه التاريخي لم يعد سوى أيقونة رمزية ترتسم الذات العربية بمقتضاها ، ولذلك يُختبر أي طرف آخر يرى ذاته خارج العلاقة ذاتها بمقاسات التخوين وحسب.

ليس غريباً البتة ما يثيره صاحب مجلة الآداب البيروتية بخصوص انعقاد مهرجان المدى الثقافي الخامس في مدينة أربيل (كردستان العراق) إذ كتب بأعصاب مشدودة عن الاعتدال العربي بعدما جعله جسراً للعبور إلى ضفة "الشقيق الكردي" المعتدل المُستهدف الأول والأخير. لقد عجز صاحب الآداب، كاتب الافتتاحيات السياسية القومية ضيقة الأفق، وأحادية الرؤية والنظر، عن قراءة الواقع كما هو،ذاك أنه كرر ما قاله غيره بحق الكُرد. ولا يخرج ما قدمه في "نقد الوعي"النقدي":كردستان العراق نموذجاً" عن سياق الصورة المنمطة التي رسمها الإعلام العربي الغارق في أصوليته القومية البدائية كالصحيفة التي التقطت المقال-الافتتاحية وأعادت نشرها واختارت من فحوى المقال –بأمانة- عنواناً تفوح منه رائحة الحقد والكراهية والضغينة " كردستان الحرة: موساد وجرائم شرف وتطهير عرقي للعرب و التركمان" ووضع موقع الكتروني آخر عنواناً فرعياً للمقال نفسه أكثر هولاً "كردستان الحرة أرض الجريمة"!

لنتذكر، ها هنا،أن سجالاً مشابهاً تماماً دار بين مثقفين عرب قبل خمس سنوات عشية انعقاد مهرجان المدى الأول، حينها لم يكن تقرير سيمور هيرش قد صدر بعد ولا "كان الطالباني قد وقع وثيقة الاستسلام" ولا قام الأكراد بحملات تطهير عرقية للعرب(والتركمان كما يضيف صاحب "القدس العربي".ولاندري لماذا تجاهل ضحايا الأكراد الآخرين:الأشوريين والصابئة المندائيين والشيعة وو؟) ولا الحديث المُبالغ،نعم المبالغ،عن انتهاكات حقوق الإنسان وحقوق المرأة وحرية التعبير في كردستان العراق الدي درج على ألسنة كتاب من الأشقاء العرب حريصين جداً على واقع ومستقبل المواطنين هناك. هنيئاً لبني الكورد هذه الالتفاتة الكريمة من أشقائهم العرب ودفاعهم المستميت عن حقوق الكورد المهضومة في كردستانهم المحررة!(ولكن هل يحق لمن سكت دهراً عن الإبادة الجماعية للكورد ،أن يعتبر نفسه اليوم داعية لحقوق الإنسان في كردستان؟)

إذن، ليس ما يكتبه السيد إدريس، أو ما يظهر للسطح السياسي-الإعلامي، جهلاً أو تجاهلاً بل هو ميراث استعلاء وإنكار ومكابرة نظّر له خطاب عروبي ساهم في نسج مفرداته لا سياسيون وإعلام حكومي ورسمي فحسب،بل كتاب وأدباء كبار وصغار أيضاً.ولنتكلم قليلاً عن الكبار وحدهم هنا، كمحمد الماغوط الذي اتهم سليم بركات بالشعوبية ومعاداة العرب وبأن في كتاباته حقدا على العرب لمجرد أنه أتى بشخوص رواياته وأجوائها من الوسط الكردي،زكريا تامر الذي أباح قتل أطفال "حلبجة" بالأسلحة الكيمياوية دفاعاً عن هيبة الأمة،إدوارد سعيد المثقف الكوني الكبير الذي وضع نفسه في موقع لا يحسد عليه أبداً بنفيه استخدام نظام صدام حسين الغازات السامة في حلبجة والأنفال ، المفكر المغربي المعروف محمد عابد الجابري في موقفه التبريري لصهر القوميات غير العربية في بوتقة الأمة العربية... لكن صهراً حضارياً بالطبع،على طريقة ميشيل عفلق.

كان الأجدر بالسيد إدريس أن يستنتج من ملف الآداب عن "العروبة بعيون كردية" قبل بضع سنوات مدى حساسية العلاقات العربية –الكردية واضطرابها ومسؤولية المثقف العربي الكبيرة إزاء تلك العلاقة،لكن تناوله لواقع كردستان جاء سطحياً وتعبوياً وبدا تأثير "الشعبانية" المصرية واضحاً في مجمل ما كتبه في مقاله- تقريره المذكور إذ يقفز فيه من الحديث عن الوعي النقدي العربي إلى الهجوم على –الاعتدال- وبعض من اللبنانيين الذين لا يلتقون مع خطاب "الآداب" ومن ثم إلى كردستان، وعنها، تلك الكلمات المقدسة التي نشرها سيمور هيرش في نيويوركر الأميركية عام ٢٠٠٤ (وهو التقرير المحتفى به عربياً و الذي لا يرقى إليه الشك ولا يأتيه الباطل من أمامه ولا من خلفه، خلافاً لما تذهب إليه المدرسة القومية نفسها بدحض أي تقرير أميركي وإسرائيلي)، وفيها انتهاك حقوق الإنسان وجرائم الشرف(هل اختفت تلك الجرائم نهائياً في ديار المسلمين والشرق كلها، ولم تبق إلا في كردستان وحدها؟)، إنما الهدف الأساس فيما ذكر هو صناعة صورة إسرائيلية للكُرد.

لا تختلف رؤية النخبة في جعل "التخوينية" مرآةً للذات عن الثقافة الشعبية الرثة التي طالما تقاسمت البطولة والكراهية مع المغني الشعبي "شعبان عبدالرحيم". فإذا جعل هذه الأخير "شعارات" الحشود المنفعلة فناً مبتذلاً وصنع لنفسه من خلالها النجومية، ترسم غالبية النخب العربية الثقافية لنفسها بورتريها كالحاً تختلط فيه الأصولية القومية والدينية واليسارية الطفولية، إنما في إطار ظاهرة المغني الشعبي ذاته. لسنا بصدد الدفاع عن قيادات كردية بعينها وجرائم الشرف في كردستان ولا انتهاكات حقوق الإنسان، التي يصورها السيد إدريس وكأنه في أي بلد عربي آخر، لكننا نرى في تناولها على طريقة تعليقات قرّاء المنتديات الأنترنتية المليئة بعناصر "التحريض الشعبي" شيئاً من الإهانة للثقافة والوعي النقدي طالما وضعهما الكاتب عنصرين رئيسيين في مقاله. وهو يجهل بطبيعة الحال السجالات التي تدور في الأوساط الثقافية الكردية حول المسائل الاجتماعية والسياسية والمدنية في كردستان، ذاك أنه يعي الواقع هناك من خلال تلك الصور القاتمة التي ترسمها له المخيلة القومية العربية. بيد أن النيل من التجربة الكردية الوليدة، من قناة الأحزاب الكردية، وهي نتاج نضال متواصل يضرب بجذوره عميقاً في التاريخ الكردي وخلاصة كفاح مرير خاضه شعب بأكمله، وهي لها ما لها وعليها ما عليها مع إدراكنا الكامل للخطايا والأخطاء الكبيرة والصغيرة لتجربة الأكراد في الإدارة الذاتية وما يشوبها من نواقص، على هذه الصورة الاستفزازية التحريضية والتحاملية غير النقدية، دون إبداء موقف تضامني حقيقي مع قضية شعب بأكمله لا قضية أحزاب وشخصيات فحسب، يهدف في النهاية إلى نفي أهلية الكورد لإدارة إقليمهم وربما "الحاجة إلى ديكتاتور" أيضاً.

ليس ما نريد قوله هو أن الثقافة العربية بمجملها صماء وعصية على الانفتاح والتسامح فهذا حكم غير صحيح وغير منطقي، ومن الخطأ الكبير اختزال ثقافة واسعة وبالغة التنوع والمنابت لتلك الرؤى وحدها إذ مقابل تلك الأصوات نتذكر أسماء لامعة في عالم الثقافة والفكر العربيين، فضلاً عن أن مثقفي العراق عموماً، بخلاف المثقفين العرب غير العراقيين، كانوا الأكثر تفهماً للقضية الكردية، على ذمة المفكر الراحل هادي العلوي. لكن المشكلة، هنا، أن هذه النخب لم تنتج تياراً ثقافياً تنويرياً يعتد به في مواجهة التصورات الشعبوية ذات النبرة الخطابية العالية التي سرعان ما تأسر جماهير تعاني جرحاً نرجسياً عميقاً، وانكسارات أحلام بناء إمبراطورية "قوية" بقيادة مستبد عادل أو غير عادل.

ليس كل الأكراد ملائكة، ولا كل العرب مستبدين، ولا العكس بالصحيح.ومن السذاجة أصلاً الحديث عن شعب ما، ككتلة ثابتة موحدة،بمواجهة شعب آخر،بمعزل عن الشروط السياسية وخيارات النخب السياسية والثقافية.

إن ترسيخ القيم الإنسانية العليا في الثقافة السائدة لشعوب المنطقة،بمجملها، بات مهمة ملحة فالانزلاق نحو مستنقع العنصرية والاقتتال وحرب الكل ضد الكل.

هنا تحديداً نحن بحاجة لمثقفين حقيقيين،عرب وكورد....

أو ليس انعقاد مهرجان ثقافي للاحتفاء بشاعر عربي كبير كالجواهري في قلب كردستان العراق خطوة جديرة بالتشجيع لإرساء ثقافة إنسانية مشتركة بين شعوب المنطقة وإصلاح ما هدمته الديكتاتورية والشوفينية، بصورها المتعددة،من قيم التسامح والمحبة والتعايش التاريخي المشترك بينها؟...

ضمير فارو .. وضمائرهم

فاضل السلطاني

لا يرعب الآن الصين التي تستعد لأولمبياد ٢٠٠٨ تحت شعار كاذب هو " عالم واحد، حلم واحد" ، سوى امرأة واحدة لا يزيد حجمها عن ٥٥ كيلو متراً وفي الرابعة والستين من عمرها. إنها الممثلة الاميركية مايو فارو. لا يوجد هناك بالطبع عداء ايديولوجي بين الطرفين، ولا تنوي هذه الممثلة الشهيرة أن تسيء الى التجربة الاشتراكية في هذا البلد، مدفوعة من قبل المخابرات المركزية الامريكية، ولا تريد حتى أن تفسد على العملاق الصيني فرحته الاولمبية. طوال عمرها لم يكن يهمها شيء سوى أفلامها. لكن ما تريده الآن، وبكل قوة، هو أن تضغط الصين على الحكومة السودانية لإيقاف حرب الإبادة في دارفور حيث قتل لحد الآن حوالي ٤٠٠ الف إنسان، وشرد مليونان ونصف المليون من قراهم. والمذبحة لا تزال جارية.

الصين تضخ بلايين الدولارات إلى هذا البلد، وهي المستورد الأكبر للنفط السوداني، وهناك شركتان عملاقتان حكوميتان تعملان في حقول استخراج النفط. وهاتان الشركتان هما من المولين الأساسيين لأولمبياد الصين.

وفارو تعرف جيداً أن النفط أغلى من الدم، والمال أقوى من الأخلاق، سواء بالنسبة للصين أو لغيرها، وإنها لن تستطيع أن تهز العملاق الصيني، لكنها، رغم ذلك، استطاعت أخيراً أن توجه له صفعة في وجهه، تمثلت في استقالة المخرج ستيفن سبيلبرغ كمستشار فني لاولمبياد بكين، وقد يتبعه عدد من نجوم هوليوود. وهذا آخر ما تتمناه الصين التي أرادت أن تجمع الفن والرياضة في عرس واحد. والشيء الأهم من حملة فارو، إن شيئاً ما سيخز ضمائر اولئك الفنانين الذين سيصرون على الذهاب إلى بكين، وأنهم لم يستطيعوا الإدعاء بعد الآن بأنهم جاهلون بما وراء الأكمة.

لن يتوقف مسعى فارو عند حد ، كما صرحت أخيراً لصحيفة " الغارديان" البريطانية"، حتى تسحب الغطاء الأخلاقي عن فعالية رياضية في الظاهر ، لكن شريانها المالي يتغذى من دم الأبرياء في دارفور

لن يتوقف مسعى فارو عند حد، كما صرحت أخيراً لصحيفة " الغارديان" البريطانية"، حتى تسحب الغطاء الأخلاقي عن فعالية رياضية في الظاهر، لكن شريانها المالي يتغذى من دم الأبرياء في دارفور.

وقضية الإبادة الجماعية في دارفور تشغل فارو منذ سنوات، وحملاتها الشخصية من أجل إيقاف القتل المجاني هناك، تعادل كل أجهزة الأمم المتحدة البيروقراطية التي لم تعمل لحد الآن شيئاً جدياً لإيقاف المجازر الجارية أمام أنظار الجميع. لقد زارت دارفور ثلاث مرات، وهي تصحب ابنها ذا الأربعة عشر عاماً، ونقلت بكاميرتها صوراً لمآسي أهلها المعذبين، نشرتها في أمهات الصحف العالمية. وكتبت مرة إلى الرئيس السوداني عمر بشير رسالة تبدي فيها استعدادها التام لحجزها كرهينة مقابل السماح لسليمان جاموس، أحد مناضلي دارفور، للعلاج خارج البلاد. وهي تعمل ليل نهار في تغذية المواقع الالكترونية بآخر الأخبار عن دارفور، وتزويد القراء بنصائح حول كيفية التضامن مع أهلها، والضغط على حكوماتهم من أجل عمل شيء لإيقاف المجزرة التي تجري في أرض تبعد آلاف الأميال عنها، ولا يربطها بها لا القومية، ولا الدين، ولا اللغة، ولا التاريخ، بل شيء أقوى وأبقى من كل ذلك: الإنسان.

ولعل أخوة الدم والدين، والتاريخ والجغرافيا، الذين تجري المذابح على بعد خطوات منهم، وبحق أخوتهم، يتعلمون شيئاً من درس فارو. ولو إننا نشك بذلك كثيراً، فهم أنفسهم الذين لم يشموا روائح المقابر الجماعية في العراق الأقرب إليهم، بل لا يزالون ينكرون حتى وجودها، ولا يزالون يغضون النظر عن الدم السائل في العراق ، إن لم يباركوه.

رسالة لندن:

من تجليات حضارة وادي الرافدين

مساواة المرأة بالرجل وتأسيس المدارس والمكتبات

لندن / سعدي عبد اللطيف

ضيف المنتدى العراقي في المملكة المتحدة البروفسور فاروق الراوي لألقاء محاضرة عن تاريخ العراق القديم.

واستهل الراوي الندوة اولا بذكر معلومة تفيد بأن بقايا لآثار بشرية يعو د تاريخها إلى ٥٠٠ الف سنة قبل الوقت الحاضر عثر عليها في منطقة الفحيمي بين عنه وحديثة في العراق ما يدل على قدم الاستيطان في بلاد ما بين النهرين ثم تحدث عن ما يعرف بإنسان النياندرتال الذي عثر على بقايا آثاره في كهف شانيدر حيث عثر على هياكل عظمية كاملة بما في ذلك طفل معوق وجدت فوق قبره ورود أهديت إليه بعد وفاته وترقى تلك الآثار إلى حوالي ٦٠٠٠٠ سنة قبل الوقت الحاضر.

وأضاف أن حضارة العراق تمتد الى اكثر من ٧٠٠٠ سنة حيث بنيت اول قرية استيطانية في منطقة الجزيرة بين الحضر والموصل وغيرها في أعالي الفرات. وتمازجت عبر آلاف السنين ثقافات وحضارات متنوعة، ماقبل السومرية، بمراحلها المختلفة. ملفعات وحسونة وسامراء وحلف والعبيد والوركاء وجمدت نصر. وخلفها أدوار سياسية معروفة بالأكدية والبابلية و الآشورية والأخمينية والإغريقية والهلنستية و الرومانية، شكلت جميعها بما عرف بحضارة وادي الرافدين.

واوضح ان وجود نهري دجلة والفرات لعبا دورا مهما في انبثاق هذه الحضارة، لكن العامل الاكثر أهمية يكمن في تنوع المجتمع العراقي اثنيا، وثقافيا، ودينيا وهذا يلقي على عاتقنا مسوؤلية كبيرة تتمثل بالحفاظ على هذا الارث المديد.

واستعرض الراوي مسلسل الغزوات البربرية التي تعرض لها العراق، لكن ابناء الرافدين سرعان ما ينهضون لأعادة الحضارة من جديد ليفاجأوا، من جديد ، بغزو آخر من الغرباء المتخلفين يدمرون كل مابني على امتداد سنين طويلة.

فقد دمر الكوتيون الحضارة الأكدية ليبدأ نواح العراقيين الذي استمر دهورا وليبني العراقيون بعد ذلك الامبراطورية الثانية للسومريين بحدود ٢١٢٤ ق.م والتي اتسعت آفاقها الحضارية لتمتد من مصر غربا الى ارمينيا وبلاد فارس وافغانستان شرقا والى سوريا وبلاد الاناضول شمالا والى سواحل بحر العرب جنوباً ويعتبر العراقيون اول من بنوا متحفا لحفظ تراث الانسانية، وتم ذلك على يد الملك البابلي نابونئيد.

واوجز البروفسور الراوي ابرز انجازات الاجداد:

اضافة الى شق الانهر والترع وتنظيم الري فقد استطاعوا رفع انتاجية السنبلة الواحدة من ستة صفوف من الحبوب إلى ٩٩ حبة.

ابتكر الرافدانيون الكتابة على الواح الطين.

اسس العراقيون اولى المدارس والمكتبات واعتنوا بالأدب والشعر.

اكتشفوا علم العروض حيث توصلوا الى معرفة ١٤ بحراً من أصل ١٦ بحراً حققه الخليل بن احمد الفراهيدي.

الشاعر موفق محمد وتنوعات الدلالة الرمزية

ناجم المعموري

ما زال الشاعر موفق محمد منشغلا بوظيفة الشعر اليومية / الوقائعية / والتحريضية ، وليظل ممثلاً عرفناه منذ الكوميديا العراقية والثلج المقلي مستثمرا الفني بوظائفيات عديدة ، لا تبتعد عن استدعاءات الشعر له والاستجابة إليه والإبقاء على العلاقة الثنائية بين المبدع واليومي.والمألوف المعروف والاعتيادي جداً لكنه منغلق على المعنى الذي لا يرتضيه غير الشعر الآن . هذا النص امتداد لما كتبه موفق محمد منذ أكثر من أربعين عاماً هو شهادة على التآخي الحقيقي والساعي بقصيدته الى شطب نظام الاقصاءات الذي كثيراً ما انشغل به الشاعر عبر كل ما كتبه واقترح أنموذجاً " موفقياً " خاصاً به وحده . وظل الشاعر موفق محمد يرى ما لم نره ممتداً في الحياة ولحظات الإمساك بها واعتصارها بقوة وقسوة من أجل أن تتساقط منها قطرات ماء ممزوجة بتدفقات الدم ، كي تخصب قطرات الماء حياتنا وتظل الدماء شاهدة . ليس على الآن فقط . وإنما على ماض ، ابتدأ من لحظة سومر واستمرت صاعدة حتى هذا الزمن . الماء والدم ، علامتان عراقيتان ، تجاورا معاً وامتزجا أيضاً وحتماً كان للماء في نصوص موفق دفقاً متزاوجاً مع الدم الذي هو أيقونة لونية على كل خساراتنا عبر التاريخ الطويل ، مثلما هو رمزية عالية دالة على الآتي الذي سيتخلق في العراق ويتكون بذرة جديدة ، ربما تأخذنا من أسطورة سومر وأكد في وظائفية النسق الثقافي والديني الخاص بتجدد الحياة وانبعاثها ، انبعاث متكرر موضوعياً وفعلاً متجسداً ، كان وظل الشعر مرآة له وذاكرة خازنة لتفاصيله ومستعيداً لكل ما هو جميل في تاريخنا وأيامنا وهو كثير ، قالته التكرارات الرمزية في قصائد موفق محمد التي هي يومياته المهتم بها . وهو مثلما نعرفه جيداً لا يقول غير الذي منشغل به وكثيراً ما ضيع شعراً بمروياته اللحظية التي يعرفها الجميع ، انه شاعر والفاصل بين الذات الإنسانية والشعرية مثل خيط ضوء يرتد على سطح مرآة كبيرة جداً هذا الفاصل الرهيف هو الذي استدعى كراهيات غيبها المجتمع ورفضها الأخلاقي الثقافي ، لكنها مثل طوفان الدم والبارود وتومئ للخسارات فقط ، متناسية مجد وطن صاعد منذ لحظته الأزلية الأولى وهذا نسقه الأول وصحوه المحكوم بالعود النيتشوي الذي يكون لنا دوماً وأبداً. ويبدو لي بأن الشاعر مدرك لوظيفته الاتصالية التحفيزية التي تخترق الثابت التداولي في الحركة الثقافية وأجد بأنه يوقظ أسباب الحداثة المبكرة في الشعر العربي الجديد منذ أواخر الأربعينيات ، حداثة كان الموت الجمعي منجزاً لها مثلما كان الانطفاء الأمومي مدفقاً لها وأعني بذلك حداثة الجنوب التي قادت نازك وأعلت صوتها وارتضى واقتنع وأدركها موفق ، حيث كان الموت والرماد الزاحف على بياض العراق عاملاً في تنويعات الشعرية العراقية الآن ، الشعرية التي أمسكت بخيط الصعود واستخرجته لمحو كل الاندثارات وإقصاء الترميد . وظائفيات اختبرتها شعرية موفق لتفسح مجالاً لطائر السميرغ العراقي المحلق بأجنحة جديدة حاملاً معه اشتغالاته اللحظية ، فيطوف حاملاً علامتنا ، مرفرفاً فوق دجلة والفرات.

ولا بد لنا من القبول بإيقونة الاستفهام التي رسمها الشاعر وأطرها الوجع من أجل البحث عن إجابات في ثنايا ذاكرات المثقف والمبدع ، إجابات ربما هي حلول آنية مطلوبة ، لا يقدر على تفجيرها غير الشعر والصدمة ويقظة حتى لو كانت بمساحة الرفرفة أو بحجم بكائية عالجها الصمت .

في هذه القصيدة استعادات وتنويع عليها شبكات الشاعر وعناصر قصائده ماثلة ، راضية بالصعود المتجدد المحكوم بالعود الرمزي الذي تقترحه التجارب المتميزة والمتفردة التي خلقت مملكة لها رعاياها الأحياء والأموات والأجنة ، تلك هي خصائص موفق وأن تجاور مع النواب ودنقل لكنه أعمق صوتاً بسبب تاريخية هذا الصوت منذ لحظة الكوميديا العراقية المتكررة أبداً . . هذه الرمزيات هي ابتكارات موفق محمد و يدرك بأنه لا يستعيد ما كان قبلاً في قصائده ولا يتوسلها ، بل هو يضربها بعصا شعريته وتسيل الرموز ، بوظائفية مغايرة ، تأخذ بالأسطورة والنصوص المقدسة والخاصة يراوغها ويجيد تمثيلها بدلالات جديدة تتحكم بالقراءة وانفتاح تأويلاتها ، كاشفة عن تخيلات قادرة على رسم حدود الجماعات ومواقفها أثناء المحن والامتحانات والصعاب وتأطير تفاصيل الحياة بالمرتقب من المباهج والمسرات . فالنهر ليس النهر في قصائده من قبل والنخلة مقدسة مثلما كانت ووظائفها الدلالية ممتلئة وليست شاغرة والعباءات لم تكن سوادات فقط وإنما هي ارتجاعات الذاكرة للمراثي المبكرة والانطفاءات التي ما زلنا نستدرجها الى الكلام والقبول بالنظام الذي نريده والنسق الذي هو حلمنا وطيفنا منعكساً على مرايا الآخر ، ودهشتنا باكتشاف دجلة ممتزجاً بالفرات ، وتلمس نبضات الغرين الفراتي في أيقونة استفهام القصيدة.ولا دهشة في روحي وأنا استمع لهذه القصيدة دفعة واحدة واكتشف متراكمات في سلة صغيرة والدهشة تأخذ قلبي وأنا أدنو منه أو بالأحرى من دجلة الزاحف نحو فراتنا المنتفض ، وهو يومئ بالدم نحو كل تواريخ المراثي وبدايات الفجائع ، باعتبارها متراكمات مشتركة بينهما ، عبر وسيط لم يكن " موفق محمد " مبتكره ، وإنما مكرسه ، ولا أحد غيره ، وأعني به اللغة العامية التي قال عنها دانتي " اللغة النيرة " أو هي النمر الذي بحث عنه شاعر الكوميديا الإلهية في السهول وفوق الجبال ، ولم يجده ، على الرغم من أن رائحته موجودة في كل مكان . إنها اللغة العامية التي لم تجد وسيطاً لها غير موفق محمد ، هو مكتشف لجواهرها الكامنة في قلوب وضمائر الدهماء ، الذين هم روح الحياة والتراث كما قال إدوارد سعيد .ولا بد من الإشارة الى التكرر الرمزي في قصائده والذي صار ملمحاً خاصاً به مثلما حفلت تجارب الكثير من الشعراء العراقيين والعرب بأقنعة خاصة ورموز ارتبطت بتجاربهم مثل السياب / البياتي / خليل حاوي / أمل دنقل / مظفر النواب ، ومن الرموز المتكررة في قصائد موفق الشط / الفرات ولم يكتف بذلك بسبب الإنتماء لمكانه الحلي ، بل امتد متسعاً ليجعل من جغرافية "أيقونة الاستفهام " دلالة على وحدة الجغرافية واكتمال العراق بهما . وتومئ هذه الثنائية لنسق الخصب الذي عرف به العراق منذ الأزل ، لكن الشاعر لم يكتف بهذه الإشارة الثنائية للنهرين وإنما كعادته كرر توظيفها مرة ثانية ومباشرة في أول قصيدة جديدة يكتبها الشاعر بعد أيقونة الاستفهام حيث وظفهما برمزية عالية جداً اختصرت مجالات عديدة اقترنت بالعراق الآن ، والأصح منذ لحظة سقوط النظام السابق وحتى الآن ، هي مجالات الصراع الدموي وعنف الإرهاب وما رافقهما من تدمير شبه كامل . ومعروف بأن هذه التحققات الموضوعية / المألوفة والمعروفة لنا لم تكن في نصه الجديد مباشرة ، على الرغم من أن الشاعر يتجاور كثيراً مع التصريح ويوظفه بآليات فنية خاصة به ، لكنه تدخل هذه المرة ليشير الى أن الأم في القصيدة رمزية وهذا واضح ، كما أنها أم كبرى ، ذات وظائف كلية وإنسانية ، وتنفتح هذه الأم عبر توظيفات الشاعر كي تتحول أماً كونية وهو دائما ما يجعل من الهموم العراقية انشغالا إنسانيا تماما مثلما في نهاية قصيدته " غزل حلّي " وكأنه يؤكد على المشتركات الإنسانية بما له علاقة بالمصدر الواحد والحياة التي يريدها البشر والمستقبل الذي يحلمون به ، أي بمعنى وحدة الأجزاء معاً لترسم لوحة كونية مشتركها الإنسان وأحلامه وطموحاته . هذا بالإضافة الى أنها مخصبة بتوأمين تعبيراً عن صلاحيتها الرحمية وفي الإطار الدلالي لثنائية الرمز التوأمين تعبيراً عن دجلة والفرات أيضاً حيث أفضى بهما نحو شعرية متسامية أنهما معاً أخوان وهما سبب في نزيف الأم التي صارت عراقاً وظلت صابرة على ما تعرف وتدرك مطمئنة بوجودهما معاً وسط رحمها . وهي ترى أيضاً مشاهد أحزانها وتراجيديا الناس معاً ، وما يخفف عنها ضغط مأساتها انتظارها للتوأمين ، ولن يكون الخلاص إلا بهما وعبرهما معاً ، دجلة والفرات المتآخيان منذ لحظة البدء وحتى الأزل وما حصل وما سيكون لن يعزل بينهما حتماً . الأم العراقية الكبرى هي الموحدة لهما ، والممسكة بهما ، على الرغم مما سبباه لها من متاعب ، ولم يكشف النص عن مخاوف الأم الكبرى على مصير التوأمين ومخاطر النزف لأن النص معني بوجودهما وبقائهما في الرحم الأمومي الذي يفضي نحو العراق وفعلاً حقق النص تناظراً بين الأم والوطن وتبادل الإثنان دورهما ولن يكون لأحدهما أفضلية على الآخر .